مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

البحث
٧

موقف مصر من مسألة اللجوء السياسى فى الشرق الأدنى القديم

إعـــداد

د / وفاء أحمد السيد بدار

مدرس تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية

العدد الثالث والخمسون ابريل ٢٠٠٣

يمثل اللجوء السياسي حلقة هامة في سلسلة العلاقات الدولية بين دول منطقة الشرق الأدنى القديم، هذه العلاقات التي تنوعت لتشكل بدورها صفحات من التاريخ السياسي لدول المنطقة، كما أنها تلقي بالضوء على الوسائل السياسية التي تبنتها هذه الدول كأسلوب للتعامل فيما بينها وقد تعددت هذه الوسائل فكان منها الحروب والمعاهدات والأحلاف وصفقات الزواج السياسي وكذا اللجوء السياسي الذي يمثل أطروحة هذا البحث.

والواقع أن مسألة اللجوء السياسي تقدم لنا مثالاً لظاهرة سياسية هامة تأثرت وأثرت في العلاقات الدولية، وهذه المسألة وإن كانت تبدو واضحة للعيان الآن على مستوى العلاقات الدولية الحديثة، إلا أنها لم تكن كذلك فيما يتعلق بالعلاقات السياسية بين دول الشرق الأدنى القديم، إذ أنها مسألة سياسية داخلية تتصل بسياسة كل دولة على حدة، ومن هنا كان لكل دولة أسلوبها في الأخذ بهذه السياسة أو طرحها جانباً وفقاً لمتطلبات سياستها الخارجية وتداعيات الأحداث على الساحة الدولية. ومن ثم تكمن الصعوبة في تتبع هذه الظاهرة السياسية، لذا فإن الباحث في مجال التاريخ السياسي لهذه المنطقة لا يجد هذه الظاهرة بشكل مباشر في صفحات تاريخ العلاقات الدولية بين دول الشرق الأدنى القديم، إنما يجدها تطل عليه بين الحين والآخر ولها بصماتها الواضحة على هذه العلاقات.

ولا شك في أن معرفة الكيانات السياسية القديمة بمسألة اللجوء السياسي ليؤكد على مدى نضج الفكر السياسي عند دول منطقة الشرق الأدنى القديم، ذلك أن سياسة احتواء اللاجئين السياسيين، والاعتراف بشرعية مواقفهم ومساندتهم وكذا استخدامهم كورقة رابحة يمكن من خلالها تحقيق مكاسب سياسية، إنما يشير إلى أسلوب سياسي ناضج ويؤكد بدوره على مدى عمق الفكر السياسي وتطوره في منطقة الشرق الأدنى القديم.

ولقد استهدفت الباحثة من خلال بحثها هذا، تجميع الأمثلة المرتبطة بذلك الموضوع وطرحها في إطار دقيق يعمل على إلقاء الضوء على كل مثال على حدة، وكذا تتبع الظروف التاريخية المتعلقة بكل حالة من حالات اللجوء السياسي والوقوف على تأثرها وتأثيرها في العلاقات السياسية.

كما استهدف البحث التركيز على دور مصر وموقفها من مسألة اللجوء السياسي من منطلق أهمية الدور التاريخي والحضاري لمصر كأحد الكيانات السياسية الكبرى بمنطقة الشرق الأدنى القديم، كما أن مصر كانت أبرز الدول التي تبنت هذا الأسلوب السياسي في مجال سياستها الخارجية، خاصة في ظل الظروف التاريخية المضطربة التي تظهر فيها على مسرح الأحداث السياسية مستجدات كان من شأنها أن تهدد مبدأ توازن القوى بالمنطقة.

وبعد فإن البحث الذي بين أيدينا إنما يمثل محاولة لدراسة ظاهرة سياسية قديمة قدم الفكر السياسي عند بعض الدول، ومن خلال هذه الدراسة يمكننا أن نقتفي أثر التطور الذي طرأ على هذا الفكر، كما يمكننا أن نجد البدايات الأولى لظهور فكرة "القانون الدولي" في تاريخ الشرق الأدنى القديم.

فكرة اللجوء وتطورها

نبعت فكرة اللجوء عند الإنسان القديم من خلفية معتقداته الدينية إزاء الكون المحيط به بكل ما فيه من أخطار تهدد أمنه واستقراره، حيث اعتاد الإنسان القديم أن يلجأ إلى الآلهة طلباً للحماية من القوى الشريرة والأمراض والأعداء؛ وتبدو تلك الفكرة واضحة تماماً عند الإنسان المصري القديم الذي وجد في الآلهة الملجأ والملاذ الآمن الذي يهرع إليه عند شعوره بالخطر، ويتضح ذلك من خلال إحدى الرقى في بردية "إيبرس" إذ تضمنت تلك الرقية التماساً بالحماية من المعبودة إيزيس ضد

كل أنواع الأخطار: "يا إيزيس، حرريني، أنقذيني من كل ضرر وشر ومن المحن، ومن كل عدو يعترضني ذكر كان أم أنثى"[١].

كما تتضح نفس الفكرة من خلال أحد خطابات الموتى، إذ بعث رجل بخطاب إلى روح زوجته المتوفاة، مطالباً إياها أن تكف عما تسببه له من ألم، وإلا سيلجأ إلى الآلهة لحمايته من روح زوجته التي تؤرقه بسبب كثرة زيارتها له مع أنه لم يرتكب إثماً في حق زوجته الراحلة[٢].

ولم يختلف الأمر كثيراً عن ذلك فيما يتعلق بالإنسان في بلاد العرق القديم ففي محاولته لفهم البيئة التي تميزت بانتقلب وعدم الاستقرار والتغير الدائم إلى درجة إلحاق الضرر والأذى بالإنسان، لجأ إلى البحث عن القوى الخفية الخيرة والشريرة التي تتحكم في عالمه، فلجأ إلى الآلهة محاولاً اكتساب رضاها[٣].

ومن هذا المنطلق الديني تطورت فكرة اللجوء لتلائم متطلبات الإنسان تجاه حاجته للحماية والأمان، فكان المفهوم السياسي للجوء إذ دفعت الأحداث السياسية بعض الأشخاص ممن يتمتعون بمكانة سياسية ما، إلى الفرار من أوطانهم طلباً للحماية والدعم من قبل بلدان أخرى، وبذلك ظهرت مصطلحات اللجوء السياسي واللاجئ السياسي ودولة الملجأ.

ومن وجهة نظر القانون الدولي الحالي فإن اللجوء السياسي يتيح للاجئ السياسي الفرار من الدولة التي ينتمي إليها بجنسيته إلى دولة أخرى نجاة بدينه أو جنسه أو آراءه السياسية والقومية، وقد يطلب من الدولة التي لجأ إليها منحه صفة اللاجئ وإنه وإن كان شائعاً استعمال اصطلاح "حق الملجأ، فليس معنى ذلك أن لمن يطلب اللجوء إلى دولة ما حقاً في الحصول على ما يطلبه، ولذلك فإن الفقهاء في القانون الدولي يرون أن وصف "الحق" إنما يصدق على سلطة الدولة المطلوب إليها اللجوء أي دولة اللجوء، فلها الحق في منحه أو منعه[٤].

وإذا ما كان التوضيح السابق لمفهوم اللجوء السياسي هو تفسير لهذا المصطلح من خلال منظور القانون الدولي الحديث، فواقع الأمر يؤكد لنا أن اللجوء السياسي في منظور التاريخ القديم لم يختلف كثيراً عن ذلك المفهوم، فطبقاً لحالات اللجوء السياسي التي ستعرضها الباحثة في حينها، يتضح أن اللاجئ السياسي هو شخصاً ذا مكانة سياسية في بلده، تضطره التقلبات السياسية إلى الفرار من وطنه إلى بلد آخر طلباً لعون ومساعدة الدولة التي يلجأ إليها، أو بالأحرى دولة اللجوء، التي تعد بالنسبة للاجئ السياسي منفى اختياري له.

وجدير بالذكر هنا أن هناك ثمة تداخل ما بين مصطلح "اللجوء السياسي" ومصطلح "النفي السياسي"*

إذ يجمع بينهما الأسباب السياسية كمبرر للبعد عن الوطن ولكن في حالة اللجوء السياسي فإن اللاجئ يفر بنفسه كما يختار ملجأه بنفسه إلى الجهة التي يشعر أنها ستوفر له الحماية أما في حالة "النفي السياسي" فتقوم سلطة قوية بإجبار الشخص الذي ينفي على الابتعاد عن الوطن لمكان ما تحدده وتختاره تلك السلطة ولدينا في هذا الصدد حالة الملك "أورخي تشوب"، إذ أقصاه عمه الملك "خاتوسيل الثالث" عن العرش ونفاه إلى بلاد "نوهاش" بسوريا وجعلها منفى إجباري له، ولكنه تمكن من الفرار ولجأ إلى بلد آخر اختاره كمنفى له، فأصبح بذلك لاجئاً سياسياً(٥).

كما لم يختلف الأمر في تعريف اللجوء السياسي حديثاً عما كان عليه الأمر في التاريخ القديم، من حيث حق الدولة التي لجأ إليها اللاجئ السياسي في منح أو منع حق اللجوء، وذلك وفقاً لمصالحها السياسية، وفي هذا الصدد هناك بعض الحالات، مثل حالة الأمير المتياني "ماتيوزا" الذي اضطر عقب اغتيال والده الملك "توشراتا" إلى الفرار وطلب اللجوء السياسي من دولة بابل ولكن بابل رفضت منحه حق اللجوء(٦) وذلك

لأسباب سياسية كانت تتعلق بعلاقة بابل بكل من خيتا ودولة آشور خلال ذلك الوقت، فمن ناحية علاقة بابل بآشور فقد جمعت بينهما آنذاك روابط المصاهرة الأسرية[٧] والمصالح المشتركة التي ساعدت على التقارب بينهما ولو إلى حين، ومن ناحية أخرى فقد كانت بابل تعلم جيداً أن آشور تساند الحزب المناوئ للملك "توشراتا" وهو ذات الحزب الذي سبب الانقسام السياسي الذي أودى بحياة هذا الملك[٨]. ومن ثم فقد آثرت بابل الالتزام بمبدأ الحياد تجاه قضية اللجوء السياسي للأمير المتياني "ماتيوزا".

أما من ناحية علاقة بابل بدولة خيتا في ذلك الوقت، فقد تدعمت العلاقات بين الجانبين من خلال المصاهرات السياسية، إذ تزوج الملك الحيثي "شوبيلوليوما" بأميرة بابلية[٩]، ومن جهة أخرى فقد كانت بابل تعي جيداً موقف خيتا من متياني ومدى مصالحها في تلك الدولة إذ أنه على الرغم من اجتياح الملك الحيثي "شوبيلوليوما" لأراضي تابعة لدولة متياني[١٠] إلا أنه كان يعمل على بقاء تلك الدولة كقوة حاجزة في وجه تطلعات آشور نحو ممتلكات خيتا [١١].

وقد صدقت رؤية البابليون إزاء هذه القضية، إذ فر الأمير المتياني "ماتيوزا" إلى خيتا ومنح حق اللجوء ورحب به ملكها [١٢] "شوبيلوليوما"*.

وهكذا يتضح أن حق منح اللاجئ لجوءاً سياسياً كان أمراً تقرره كل دولة وفقاً لمصالحها السياسية وطبقاً لمعايير تتعلق بعلاقة دولة اللجوء بالدولة التي فر منها اللاجئ السياسي.

أسباب اللجوء السياسي:

تتركز دوافع اللجوء السياسي في أسباب عدم الاستقرار سواء كان بفعل عوامل داخلية أو بتأثير عوامل خارجية ذلك أن اضطراب الحكم يقترن بحالات الإقصاء عن العرش ومن ثم الفرار من أرض الوطن وطلب اللجوء من قبل القوى الأخرى.

ومن أبرز العوامل الداخلية التي كانت تفضي دائماً إلى عدم الاستقرار السياسي مشاكل الصراع حول العرش نظراً لقلة دقة القواعد الخاصة باستخلاف الحكم، وقد تمثل ذلك الأمر جلياً فيما يتعلق بدولة خيتا، إذ كانت تعاني منذ فترة مبكرة من تاريخها، من مشاكل الصراع السياسي حول الحكم (١٣).

وعلى الرغم من محاولة الملك "تليبنيوس"، وضع قواعد محدده، تفادياً للصراع في البيت الحاكم، إلا أن محاولته هذه لم تجد كثيراً في معالجة الأمر فنظراً لتكرار حوادث الاغتيالات السياسية في دولة خيتا، قام الملك "تليبنيوس" بتنظيم قانون يحدد كيفية وراثة العرش إذ جاء فيه "يكون ملكاً من كان ابناً لزوجة من الطبقة الأولى من الأفراد، فإذا لم يوجد من الطبقة الأولى، كان الملك أميراً من الطبقة الثانية، فإذا لم يوجد مع ذلك أمير، فليجعلوا زوجاً لإحدى بنات الطبقة الأولى ملكاً"(١٤).

ورغم وجود هذا القانون، فإن القواعد المتعلقة بوراثة الحكم لم تطبق كما أرادها صاحب هذا القانون، فبعد وفاة الملك "مواتالي ١٢٩٤ ق.م" ظهرت على السطح تداعيات ذلك القانون، فالملك مواتالي لم يترك وريثاً شرعياً له ومن ثم وطبقاً لقواعد استخلاف الحكم كان لابنه من إحدى المحظيات، الحق في ارتقاء العرش، وسرعان ما نشب الخلاف بين ذلك الابن وبين عمه الذي لم يعترف بشرعيته فنفاه عن البلاد ولكنه اضطر للفرار كلاجئ سياسي(١٥).

ويعكس تاريخ دولة متياني، صورة أخرى لعدم الاستقرار السياسي وانقسام البيت الحاكم والاغتيالات السياسية، إذ انقسم البيت الحاكم في دولة متياني إلى حزبين يناوئ كل منهما الآخر، وتبارى الحزبان في محاولة كسب تأييد القوى الخارجية الكائنة على مسرح الأحداث الدولية آنذاك، فترتب على ذلك عدة اغتيالات سياسية منها اغتيال الملك متياني

"توشراتا" الذي كان قد ارتقى العرش بشكل مخالف للتقاليد وقتل الوريث الشرعي[١٦]، وقد عانى ابنه الأمير "ماتيوزا" الأمرين من جراء ذلك الصراع حتى انتهى به الأمر إلى الفرار وطلب اللجوء السياسي من دولة خيتا التي رحبت بالأمر نظراً لمصالحها السياسية[١٧].

كما يمكن أن يكون اللجوء السياسي بفعل تأثير عوامل سياسية خارجية تؤدي بدورها إلى عدم الاستقرار والإطاحة بالبيت الحاكم، وهناك أمثلة متعددة تتعلق بهذا الأمر، كحالة ملك ماري الملك "زمري ليم" ذلك أن الملك "شمس أداد" (١٨١٤- ١٧٨٢) ما إن ارتقى عرش دولة آشور حتى بدأ يعمل على بسط نفوذه تجاه الغرب حيث المدن الكبرى بشمال سورية مثل قرقميش وحلب وقطنة وماري[١٨].

وتحقيقاً لأطماعه قام بغزو مملكة ماري[١٩]، واستولى عليها واغتيل حاكمها "يخدون ليم" وقام "شمس أداد" بتنصيب ابنه "ياسماخ أداد" حاكماً على ماري في الحقبة من (١٧٩٢- ١٧٨٢) ق.م[٢٠].

وهنا لم يجد الأمير "زمري ليم" ابن الملك السابق إلا أن يفر إلى حلب ومنحه حاكمها "يارليم ليم" حق اللجوء السياسي[٢١]. وهكذا كان اللجوء السياسي يرتبط بمجريات الأحداث السياسية.

وحري بنا في هذا المقام أن تشير إلى موقف مصر تجاه مسألة عدم الاستقرار السياسي كمبرر لعملية اللجوء السياسي، طالما أن هذا البحث يتعلق برصد دور مصر إزاء هذه الظاهرة السياسية، وهنا نجد أن مصر لم تشهد حالات لجوء سياسي خرجت من أراضيها لتستعين بقوى خارجية سواء كان ذلك على نطاق الحكام أو الأمراء فلم تجد الباحثة ما يدل على خروج لاجئ سياسي من مصر إلى الخارج، ويعزو ذلك إلى استقرار الوضع السياسي الداخلي في مصر، إذ كانت مسألة وراثة العرش تسير وفقاً لنظرية محدده أسهمت في استتباب الحكم والحد من أطماع

المتطلعين للعرش[٢٢]، ولذا لم نسمع كثيراً عن حالات الصراع حول العرش اللهم إلا في بعض المناسبات القليلة، لكن الأمر اللافت للنظر أن الأمور سرعان ما كانت تعود لمجراها الطبيعي، ويعيد البيت الحاكم ترتيب أوراقه من جديد ولا يتطور الأمر بأي حال من الأحوال إلى حروب أهليه أو انقسامات سياسية. ومن الأمثلة على ذلك محاولة اغتيال الملك "أمنمحات الأول" وكذا محاولة اغتيال الملك "رعمسيس الثالث" وحتى في أحلك الأوقات ظلمة، حينما خلا العرش من شاغليه بعد وفاة الفرعون "توت عنخ آمون"، فحاولت أرملة ذلك الفرعون حل تلك المسالة على طريقتها، فلجأت إلى دولة خيتا تستعين بها لعقد صفقة زواج سياسي، بمقتضاها تتزوج الملكة الأرملة بأحد أبناء الملك الحيثي لأنها لم ترزق بأولاد، ولأنها تنأى بنفسها عن الزواج بأحد رعاياها[٢٣]، نقول حتى في تلك الأوقات العصيبة لم يتطور الأمر إلى حرب أهلية، فسرعان ما باءت محاولة الملكة بالفشل فقد رفض رجال القصر ذلك الأمر، واغتيل الأمير الحيثي وهو في الطريق لمصر[٢٤]، فقد كان لرجال مصر حسابات أخرى تتعلق بالسيادة ومبادئ الكرامة المصرية التي كانت تجعل المصريين يأنفون من التدخل الأجنبي في الشئون الداخلية لمصر.

حقوق وواجبات اللاجئ السياسي:

غلى الرغم من عدم وجود قواعد محدده تتصل بمسألة اللجوء السياسي وما يتعلق بها من حقوق وواجبات اللاجئ السياسي، إلا أن أهمية هذه المسألة كانت تحتم ضرورة وجود تلك القواعد لتنظيم مسألة اللجوء السياسي وما يترتب عليها من تداعيات، فلم يكن مقبولاً ترك الأمر في هذا الصدد يسير هكذا على غير هدى، دون تحديد حقوق وواجبات كل طرف من أطراف هذه المشكلة. ويمكننا من خلال طرح بعض الأمثلة أن نستنتج أن عملية اللجوء إلى دولة ما، كانت تخضع لمعايير قانونية ذات صلة

بالعلاقات بين الدول المعنية بهذا الأمر، إذ اتضح للباحثة من خلال دراستها لهذا الموضوع أن أول سبيل في تحديد العلاقة بين اللاجئ السياسي ودولة اللجوء، كان يتمثل في معاهدة، يمكن وإن صح التعبير أن تسمى "معاهدة اللجوء" حيث يقف كل طرف فيها على حقوقه وواجباته ومن الأمثلة التي تؤكد ذلك، تلك المعاهدة التي عقدت بين الملك الحيثي "شوبيلوليوما" والأمير الميتاني "ماتيوزا" كلاجئ سياسي وقد جاء في تلك المعاهدة ما يلي:

"..... لقد هرب "ماتيوزا" ولجأ إلى الشمس "شوبيلوليوما" وقد تحدث الملك العظيم. لقد حدد له تشوب كل ما يتعلق بحقوقه وذلك بأن أمد له يد العون وأقوم بمساعدة ماتيوزا ابن توشراتا وذلك بأن أضعه على العرش حتى لا تزول دولة ميتاني، البلاد العظيمة"(٢٥).

وقد وصف الأمير المتياني "ماتيوزا" قبول الملك شوبيلوليوما له كلاجئ سياسي وتعهده بمساندته قائلاً:

"الملك العظيم ربط على يدي وقال سوف اقتحم أرض متياني ولن أتخلى عنك وسوف أجعلك ابني وسوف أفي بوعدي وأنصبك على عرش والدك. فالكلمة التي تخرج من فمه لا ترد"(٢٦).

ولتفعيل تلك المعاهدات، كان الأمر يستوجب عقد مصاهرة أُسوية سياسية بين اللاجئ والبيت الحاكم في دولة اللجوء وهنا نجد أن الملك شوبيلوليوما قد زوج ابنته لأمير المتياني ماتيوزا(٢٧)، إذ جاء في نص المعاهدة السابقة ما يلي:

".... وقد مددت يدي لماتيوزا ابن توشراتا ومنحته ابنتي كزوجة له"(٢٨).

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك، تلك المعاهدة التي عقدت بين "يارليم ليم" حاكم حلب "وزمري ليم" حاكم ماري الذي فر إلى حلب عقب اغتيال والده "ياخدون ليم" ومُنِحَ حق اللجوء السياسي من قِبلِ ملك حلب

(٢٩)، الذي سانده في استعادة عرش آبائه وعقد معه معاهدة(٣٠) ودعمها بمصاهرة أسرية حيث زوجة من ابنته(٣١).

وقد أشاد "زمري ليم" بمساندة ملك حلب له فقال ممتدحاً إياه:

"والدي بحق فقد جعلني استعيد عرشي، أنه الوحيد الذي ساعدني والذي سيعمل على تقويه أركان عرشي"(٣٢).

وهكذا يتضح مما سبق، أن من أهم حقوق اللاجئ السياسي، حق الحماية والمساعدة، إذ أن اللاجئ السياسي هو شخص دفعته ظروف مضطربة إلى الفرار من وطنه ومن ثم يصبح بحاجة ماسة لتوفير الحماية والأمان، ثم أنه شخص صاحب حق يحتاج لمن يسانده في استعاده حقوقه.

أما فيما يتعلق بواجبات اللاجئ السياسي، فمما لا شك فيه أن واجب اللاجئ السياسي إزاء الدولة التي استضافته على أراضيها ومنحته حمايتها، أن يحترم قوانين تلك الدولة وأن يدين بالولاء والطاعة للبيت الحاكم فيها، وأن يتعاون مع تلك الدولة مستقبلاً كحليف لها نظير ما قدمته له من دعم مادي ومعنوي.

حالات اللجوء السياسي إلى مصر:

قبل أن نتطرق إلى رصد حالات اللجوء السياسي التي وفدت إلى مصر يجدر بنا أن نستعرض حالة "سنوهي" كلاجئ سياسي خرج من مصر فاراً بنفسه نظراً لأسباب سياسية دفعته لذلك، ومع أن سنوهي لم يكن حاكماً أو من البيت الحاكم إلا أن مكانه الرجل في القصر الملكي تجعلنا نتوقف عند حالته كإحدى حالات اللجوء السياسي.

سنوهي كلاجئ سياسي:

بغض النظر عن أهمية قصة سنوهي وقيمتها الأدبية كإحدى روائع الأدب المصري القديم خلال عصر الدولة الوسطى(٣٣)، فإن القراءة السياسية لهذه القصة تقدم لنا نموذجاً لحالة لاجئ سياسي مصري، أجبرته

الظروف السياسية على الهرب من مصر بحثاً عن ملجأ آمن، يأمن فيه على نفسه خوفاً من عواقب أحداث سياسية وقعت بالقصر الملكي خلال عصر الأسرة الثانية عشر، إذ ترتبط هذه القصة بفترة حكم كل من الملك "أمنمحات الأول" و "سنوسرت الأول" ويبدو أن فترة أواخر حكم الملك "أمنمحات الأول" قد شهدت نوعاً من الصراع السياسي داخل أروقة القصر الملكي، إذ استهدفت حياة الملك بمؤامرة نعلم أخبارها من خلال تعاليم الملك لابنه "سنوسرت"[٣٤] وقد أخفقت تلك المؤامرة في تحقيق أهدافها للنيل من حياة الفرعون الذي زود ابنه بنصائح هادفة، تجسد خلاصة تجارب الرجل وخبراته السياسية لتكون له مصباحاً يهتدي به في مسالك حياته السياسية[٣٥].

ويبدو أن بعض المتآمرين قد استغلوا فرصة خروج ابنه الأمير "سنوسرت" بحملة لتأديب التحنو الليبيين على حدود مصر الغربية، ومن ثم قاموا بمحاولة أخرى لاغتيال الملك، وبينما كان الأمير "سنوسرت" في طريق العودة من حملته، إذ برسل من القصر الملكي ينقلون إليه نبأ وفاة الملك "أمنمحات الأول" [٣٦]. وهنا تبدأ رحلة سنوهي مع اللجوء السياسي والهرب خارج حدود مصر، فلماذا قرر سنوهي الهرب؟

إن واقع الأمر يؤكد أن كل الملابسات التي تتعلق بهرب سنوهي من مصر ملابسات سياسية، فها نحن أمام رجل ذات مكانة في القصر الملكي وله حظوة ومنزلة عند الملك والملكة[٣٧]، وتعكس ألقاب سنوهي هذه المكانة حيث لقب بـ "الحاكم. الأمير مدير أملاك الملك في بلاد الأسيويين. صديق الملك ومحبوبة"[٣٨] هذا من ناحية أهمية الرجل، ومن ناحية أخرى فإن قرار سنوهي بالفرار عقب سماعه لنبأ وفاة الملك "أمنمحات الأول" وما أصابه من خوف وهلع حينما علم بذلك ليؤكد أن وفاة الفرعون لم تكن وفاة طبيعية، وأن سنوهي شخصا متآمر[٣٩] خشي عواقب

اكتشاف أمر تلك المؤامرة ومن ثم فقد آثر الفرار بعيداً عن الوطن، وهنا تتوفر الظروف السياسية التي دفعته للهرب كلاجئ سياسي، كما أنه قد اختار منفاه بنفسه فوفقاً لرواية سنوهي لم يدفعه أحد لذلك ولكنها مشيئة الإله[٤٠]، ولكن سنوهي جانبه الصواب والحق حينما أدعى أنه لم يخطط لهروبه، إذ وصف سنوهي خطة هروبه بدقة متتبعاً انتقاله من مكان لآخر ثم أن سنوهي آثر الفرار جهة الشرق مما يدل على أن الرجل كان يعي جيداً ما يقوم به إذ كان على علم بتلك الجهات فمن ألقابه "مدير أملاك الملك في بلاد الآسيويين" مما يؤكد صلته بهذه الجهة [٤١].

وقد عبر سنوهي أسوار الحاكم وبدأ في مغادرة حدود البلاد باحثاً عن مأوى آمن وكان يهدف إلى الوصول إلى "بيبلوس" ولكنه لم يمكث فيها خشية أن يكون هناك من يلاحقه[٤٢] ثم اتجه إلى قدم* حيث يقول النص: "لقد انحرفت تجاه بيبلوس ولكنني توجهت إلى قدم" مما يوحي بأن قدم تقع بالقرب من بيبلوس فقد تكون شرقي بيبلوس، ومكث سنوهي بقدم عاماً ونصف ثم لبى دعوة الشيخ "عامو بن ننشي[٤٣] أحد الحكام في بلاد رتنو العليا*، وقد وفر له هذا الشيخ الملجأ الآمن وأقطعه أرضاً من أجود أراضيه وزوجه بابنته[٤٤] وجعله قائداً على قواده وكان سنوهي بمثابة مستشاراً سياسياً لهذا الشيخ مما يدل على أن الشيخ قد وفر لسنوهي كل ما يحتاج إليه كلاجئ سياسي من دعم مادي ومعنوي، ولكن سنوهي كان يتوق شوقاً للعودة إلى وطنه وأخيراً عفا عنه الفرعون وسمح له بالعودة لمصر[٤٥].

وتلك هي حالة اللجوء السياسي الوحيدة التي خرجت مصر وارتبطت بشخص موظف مصري من عصر الأسرة الثانية عشر.

لجوء الملك المخلوع "أورخي تشوب" لمصر

تمثل مسألة "أورخي تشوب" الملك "مورشيليش الثالث"، نموذجاً هاماً لإحدى حالات اللجوء السياسي التي تأثرت وأثرت في العلاقات الدولية، فالرجل كان ذا مكانة سياسية رفيعة فهو ملك خيتا الذي ارتقى العرش بعد وفاة والده الملك "مواتالي" قائد موقعة قادش، وقد حكم "أورخي تشوب" في الفترة من (١٢٧٢- ١٢٦٧) ق.م فبعد وفاة الملك "مواتالي" لم يكن له ابنا يعهد إليه بالحكم كوريث شرعي، وطبقاً لقانون "تليبنيوس" في وراثة العرش، فقد عهد بالحكم "لأورخي تشوب" الذي كان ابناً للملك من إحدى المحظيات، وبالرغم من اعتراض النبلاء على تولية "أورخي تشوب" إلا أن الملك "مواتالي" أصر أن يخلفه هذا الابن من بعده، وقد احترم "خاتوسيل الثالث" رغبة أخيه "مواتالي" في تعيين ابنه كملك لخيتا، إذ جاء في نصوص "خاتوسيل الثالث" ما يلي:

"نظراً لاحترام رغبة أخي فلم أفعل الشر ضده، ولما لم يكن له ابناً من المنزلة الأولى فقد أخذت أورخي تشوب ابن المحظية ونصبته على عرش خيتا، وجعلت خاتوسا كلها بين يديه، فكان الملك العظيم في أرض خيتا"(٤٦).

ولكن سرعان ما دب الخلاف بين العم وابن أخيه، إذ كان "أورخي تشوب" لا يثق كثيراً في عمه "خاتوسيل"، ولذلك قلده حكم أقصى أطراف الدولة بحجة الدفاع عن الحدود، فانتهز العم الفرصة وبات يجمع حوله المنشقين ضد "أورخي تشوب" ولأن الملك كان مرتاباً في نوايا عمه فبدأ العمل نحو تقليص نفوذ عمه حتى وصلت الأمور بينهما إلى خط اللا رجعه وذلك حينما عزم الملك على تجريد عمه من حكم مدينة (هاكبيس) وهنا شعر خاتوسيل بسوء العاقبة، فجاهر بالعداء لابن أخيه ورفع الأمر

بينهما للآلهة وأخيراً تمكن "خاتوسيل" من تطويق الملك وأسره ونصب نفسه ملكا على خيتا[٤٧].

ولم يقدم "خاتوسيل" على التخلص من ابن أخيه ولكن طبقاً لما جاء في نصوصه فقد نفاه إلى بلدة "نوهاش" بشمال سوريا.

"لقد وهبته في بلاد نوهاش مدناً ثابتة وإذ كان قد عزم على أي هجوم آخر، فكان يمكن أن يسافر إلى بابل وهنا قبضت عليه وأرسلته إلى مكان عبر البحر"[٤٨].

ووفقا للنص السالف الذكر، فإن الملك "خاتوسيل الثالث" حينما علم بنوايا الملك المخلوع للهرب صوب بابل، قام بنقله من منفاه في بلاد نوهاش إلى مكان آخر، ربما كان بلاد الآشيا (قبرص)[٤٩].

وهكذا ضمن الملك خاتوسيل أنه قد تخلص من "أورخي تشوب" كما تخلص كذلك من الابن الآخر للملك مواتالي، الأمير، "كورونتا" إذ عثرت بعثه ألمانية على لوح برونزية في العاصمة الحيثية "خاتوسا" وورد على اللوح نصاً يتعلق بالأمير "كورونتا" أخو الملك "أورخي تشوب" إذ كان الملك مواتالي قد عهد إلى أخيه خاتوسيل بأن يتولى أمر ذلك الأمير بالرعاية والتنشئة حتى يكون بمنأى عن الخلافات داخل القصر الملكي وبمضي الوقت تدعمت العلاقة بين "كورونتا" وعمه الذي كان يعده كأحد أبنائه، وبعد أن قام خاتوسيل بإقصاء الملك أورخي تشوب حرص كذلك على إبعاد الأمير "كورونتا" عن العاصمة حتى لا يناوئه مستقبلاً أيا من أبناء الملك "مواتالي"، إذ جاء على اللوح السالف الذكر ما يلي على لسان الملك "تودخاليش" خليفة الملك "خاتوسيل الثالث".

"..... ولكن عندما أقصى والدي أورخي تشوب عن الملكية أخذ "كورونتا" وجعله ملكاً على بلاد تارهونتاش"[٥٠].

وهكذا انفرد الملك خاتوسيل بالأمر في خيتا.

ولكن الملك المخلوع "أورخي تشوب" فر من منفاه واختـــار هـــذه المرة بلداً لم يكن ليجول في ذهن عمه الملك "خاتوسيل" أن يلجأ إليه فـــي يوم من الأيام، إذ فر الملك إلى مصر تلك الدولة التي تناصبها دولة خيتـــا العداء، مصر بلد الفرعون "رعمسيس الثاني" العدو اللدود لدولة خيتا. ومنذ ذلك الحين صار "أورخي تشوب" موضوعاً لعدة خطابات عثر عليها فـــي أرشيف بوغاز كوي، وقد تناولت الخطابات مسالة لجوء "أورخي تشـــوب" إلى مصر، وما ترتب على ذلك من تداعيات تتعلق بالعلاقة بيـــن مصـــر وخيتا وحلفائها آنذاك(٥١)، ففي الخطاب المرســـل مـــن الملـــك الحيثـــي "خاتوسيل الثالث" إلى الملك "كادشمان أنليل" الثاني ملك بابل، كـــان ملـــك خيتا يستعرض العلاقات الطيبة التي ربطت بينه وبين الملـــك "كادشـــمان تورجو" والد ملك بابل(٥٢) وقد حرص ملك خيتا على ذكر مســـاندة ملـــك بابل له في موضوع "أورخي تشوب" الذي فر إلى مصر، حيث ورد فـــي ذلك الخطاب ما يلي:

".... عدوي الذي هرب إلى بلاد أخرى، وذهب إلى ملك مصر وعندمـــا كتبت له أن أرسل إليّ بعدوي، لم يرسله إليّ فتوترت العلاقات مع ملـــك مصر، وإذا لم يقلع عن مساعدة عدوي فستكون الحرب فيما بيننا"(٥٣).

وطبقاً للخطاب السابق فإن هذا العدو الذي تحدث عنه ملك خيتـــا هو الملك المخلوع "أورخي تشوب" كما يؤكد الخطاب على رفض الملـــك رعمسيس الثاني" لطلب دولة خيتا بخصوص تسليم أورخي تشوب " الأمر الذي أسفر عن توتر العلاقات بين الجانبين(٥٤).

وقد ورد بالخطاب السابق ما يشير إلى دعم دولة بابل لخيتا فـــي موضوع "أورخي تشوب" بل واستعدادها للمضي قدما معـــها فـــي حالـــة اندلاع الحرب ضد مصر، إذا جاء ما يلي:

"..... عندما كتبت إلى والدك إنني لست على وفاق مع ملك مصر. إذ كتبت لوالدك "كادشمان تورجو" ملك مصر قام بحرب ضدي. فأجاب والدك. اذهب ضد ملك مصر وسوف أذهب معك وسأجند الجند واستعد للزحف فالجند والمركبات معدة للتحرك. ومن ناحيتي فسوف استعد للزحف" (٥٥)

هذا وقد اختلفت الآراء حول تحديد تأريخ هذا الخطاب، فهناك من يرى أنه قد كتب في وقت لاحق على عقد المعاهدة المصرية-الحيثية أي قبل العام الحادي والعشرين من حكم الفرعون "رعمسيس الثاني"(٥٦) خاصة وأن "أورخي تشوب" كما يرى البعض، قد فر إلى مصر في العام الثامن عشر من حكم "رعمسيس الثاني" (٥٧). إذ تضمن الخطاب إشارات إلى علاقات سابقة على عقد المعاهدة بين مصر وخيتا، وإن كان هناك من يقترح أن الخطاب قد كتب بعد المعاهدة على أساس أن وفاة الملك "كادشمان تورجو" كانت بعد العام الحادي والعشرين من حكم الفرعون "رعمسيس الثاني" (٥٨).

وأيا ما كان الجدل حول تحديد تأريخ هذا الخطاب من حيث كونه قد كتب قبل أو بعد المعاهدة، فإن أهمية ذلك الخطاب تفوق ذلك الجدل بكثير، إذ أنه يؤكد على أن موضوع أورخي تشوب ولجوئه إلى مصر قد ألقى بظلاله على العلاقات بين الجانبين، تلك العلاقات التي كانت تتسم بالتوتر قبل المعاهدة، وإذا بموضوع أورخي تشوب ورفض "رعمسيس الثاني" تسليمه لملك خيتا، يزيد من حدة هذا التوتر بين الجانبين.

كما كانت مسألة أورخي تشوب موضوعاً لخطاب آخر من خطابات بوغاز كوي وهو خطاب مرسل من الفرعون "رعمسيس الثاني" إلى ملك ولاية "ميرا" بآسيا الصغرى، ويبدو أن هذا الخطاب كان بمثابة رداً من الفرعون على خطاب من قبل حاكم "ميرا"، سأل فيه عن "أورخي تشوب" اللاجئ السياسي للبلاط المصري، وقد ورد في الخطاب ما يلي:

"هذا ما يقوله وسر ماعت رع ستب ان رع الملك العظيم ملك مصر. ابن رع رعمسيس مرى آمون إلى [ ] Ku ملك "ميرا".

من ناحيتي فإن الأمور على خير حال وكذا زوجاتي وأولادي وقواتي وخيولي وكل بلداني بخير حال وآمل أن تكون كذلك بالنسبة لك ملك ميرا، والآن فقد استمع ملك مصر إلى كل ما كتبته بخصوص مسألة "أورخي تشوب" فهي ليست كما تصورها وعليك أن تتذكر حسن العلاقات التي أقمتها أنا الملك العظيم ملك مصر مع أخي ملك خيتا. فإله الشمس وإله العواصف في أخوه صادقة وسلام طيب إلى الأبد.

أنظر مسالة أورخي تشوب التي كتبت لي عنها الملك العظيم ملك خيتا. لم يتوقف عن الكتاب إليّ بخصوصه، فهل للملك العظيم ملك مصر أن يأسر أورخي تشوب" (٥٩)

مما هو جدير بالذكر هنا أن إجابة الفرعون رعمسيس الثاني على سؤال ملك خيتا بصدد موضوع أورخي تشوب، لم تكن واضحة تماماً، وإن كان الخطاب قد تضمن فقرات أخرى يمكن من خلالها أن نستنتج أن الفرعون المصري قد اعترف بشرعية خاتوسيل الثالث ملك خيتا

"..... ماذا يعني هذا أنا، أورخي تشوب

[ ] أليس الملك العظيم ملك خيتا

[ ] وأنا قد تذكرنا

[ ] ماذا قال لك الناس

[ ] أنا في أخوه صادقة وسلام طيب مع الملك العظيم ملك خيتا إلى الأبد" (٦٠)

ولا شك في أن هذا الخطاب قد كتب بعد المعاهدة مما يدل على استمرار وجود أورخي تشوب في مصر، وإن كان هناك من يرى أن طلب ملك خيتا من الفرعون بخصوص مسالة القبض على أورخي تشوب

ربما يشير إلى وجوده في مكان آخر قريب من مصر[٦١] فربما خشى أورخي تشوب من عواقب عقد المعاهدة بين مصر وخيتا ولذلك لاذ بالفرار إلى مكان غير معلوم[٦٢].

هذا وقد أثيرت مسألة أورخي تشوب مرة أخرى في خطاب من الفرعون "رعمسيس الثاني" لملك خيتا، جاء فيه:

"..... الآلهة العظام أنهم [ ]

أنظر لقد تحدثت كثيراً بصدد أورخي تشوب

مما لم يعد مقبولاً معه أن أسمع أنه ذهب إلى كيزوانتا وهو

.... سوف يأسره من أجلك، ولكن لا شئ

لقد ذهب إلى حلب، والملك.... سوف يأسره من أجلك ولكن

لا شيء لقد ذهب إلى قادش وسوف يأسره من أجلك. فكلهم

يتحدثون بهذه الطريقة. إناس في قطنة.... هذه الكلمات من

شعب أمورو، لقد أسر وسوف لا نسلمه"

ويبدو في الخطاب السابق، استياء الفرعون من ذلك الموضوع، كما أنه ينفي بشكل غير مباشر مسالة وجود أورخي تشوب في مصر، كما نلمس من جهة أخرى أن ملك خيتا كان ما يزال مقتنعاً بوجود عدوه في مصر[٦٣] فقد كان الحيثيون حتى وقت مفاوضات الزواج الأول لرعمسيس الثاني أي حتى العام الرابع والثلاثين من حكم الفرعون مقتنعين بوجود "أورخي تشوب" في مصر وهذا ما يعكسه خطاب من الملكة الحيثية "بادوخيبا" إلى الفرعون "رعمسيس الثاني"، وهو خطاب بمثابة إجابة من قبل الملكة على إحدى رسائل الفرعون التي بعث بها يستفسر عن سبب تأخير وصول العروس الحيثية.

وقد جاء في الخطاب ما يلي:

"..... كان يجب عليك أن تثق بنا، ولا ترتاب في شئ لقد كتبت بصدد إرسالها إليك لولا [معوقات عدة] فقد احترق القصر وما تبقى وهبه أورخي تشوب لكبار الآلهة وحيث أن أورخي تشوب عندك فاسأله هل هذا صحيح أم لا. أي فتاة في السماء أو في الأرض سأهبها لأخي فهل سأزوجه بفتاه من بابل أو ....."(٦٤) .

إن الخطابات السالفة الذكر تؤكد على مدى أهمية موضوع أورخي تشوب بالنسبة لدولة خيتا، التي باتت في موقف لا تحسد عليه سواء على الصعيد الخارجي أو الداخلي، ومن ثم فقد دفعت تداعيات الأحداث دولة خيتا دفعاً نحو عقد المعاهدة مع مصر فعلي المستوى الخارجي، كان سقوط دولة متياني بمثابة صفعة قوية ضد دولة خيتا، إذ كانت دولة متياني بمثابة قوة حاجزة بين ممتلكات خيتا وبين الآشوريين (٦٥)، وقد أخل سقوط دولة متياني بتوازن القوى في المنطقة، إذ أخذ نجم دولة آشور يسطع وهو ما لم تكن تقبله دولة خيتا بأي حال من الأحوال (٦٦) وقد بدأ تحدي الآشوريين لخيتا حينما استشعر ملك آشور في نفسه القوة فأرسل لملك خيتا يعرض عليه الأخوة والمساواة في المنزلة كملك عظيم، وجاء في إجابة الملك الحيثي على هذا الخطاب كما يلي

"ما هذه المناقشة عن الأخوة وزيارة جبل أمانا لماذا اكتب إليك فيما يتعلق بالأخوة بيننا فهل ولدنا أنا وأنت من أم واحدة. فلم يكتب أبي ولا جدي لملك آشور عن الأخوة. فلماذا تكتب إليَّ كملك عظيم"

وإزاء نمو قوة آشور، كان التحالف بين خيتا وبابل ليمثل الجانبان معاً قوة تحول دون أطماع آشور في الوصول إلى الفرات(٦٧).

أما على الصعيد الداخلي. فكانت الحالة أكثر سوءاً، إذ أن فـــرار الملك المخلوع لمصر وحصوله على حق اللجوء السياسي يمثل مسألة تهدد استقرار الحكم في خيتا، من قبل هذا اللاجئ، وعلى الرغم مـــن الجـــهود التي بذلها الملك خاتوسيل الثالث لتدعيم شرعيته سواء بعقد المعـــاهدات أو بالزواج الدبلوماسي، فإن الملك خاتوسيل لم يشعر بالأمن على عرشه الذي اغتصبه بالقوة بينما ما يزال أورخي تشوب حراً بل ويتمتع بحماية أكـــبر القوى السياسية آنذاك(٦٨).

ولذا يرى البعض أن الدافع لعقد المعاهدة بين مصر وخيتا، هـــو خشية خاتوسيل الثالث من إقامة الملك المخلوع أورخي تشوب في مصـــر وما يمكن أن يترتب على ذلك من أخطار في حالة ما إذا اتخـــذ أورخـــي تشوب من مصر قاعدة لاستعادة عرشه المسلوب(٦٩).

وهكذا أحدث وجود أورخي تشوب في مصر تغييرا في الموقـــف الحيثي نحو إقرار السلام مع مصر، فمصر لم تكن بحاجة للمعاهدة أكـــثر من خيتا التي دفعتها الأحوال الداخلية والخارجية دفعاً نحو تصفية الأجواء مع مصر(٧٠).

ويبقى في مسألة لجوء "أورخي تشوب" لمصر سؤال هام.

هل استفاد الفرعون رعمسيس الثاني من وجود أورخـــي تشـــوب ملك خيتا في مصر؟

إن واقع الأمر ليؤكد على أن الفرعون لم يحسن استغلال ورقـــة "أورخي تشوب" في التأثير على مجريات الأحداث، إذ أن المعاهدة سرعان ما قطعت عليه خط الرجعة في هذا الأمر، حيث تضمنت المعاهدة بنـــوداً كانت بمثابة إقرار من قبل الفرعون بشرعية حكم الملك خاتوسيل الثـــالث بل وتأكيداً لشرعية حكم وريثه على عرش خيتا (٧١) إذ ورد بالمعاهدة نصاً يتعلق بدعم رعمسيس لابن حاكم خيتا عندما يصبح ملكاً مكان والـــده "....

أنظر ابن "خاتوسيل" ملك أرض خيتا العظيم سيصبح ملكاً على أرض خيتا في مكان والده خاتوسيل بعد انقضاء سنى حكم خاتوسيل ملك خيتا.

وإذا ما ارتكب نبلاء خيتا إثماً عندئذ سيرسل "رعمسيس الثـــاني" ملك مصر مشاة ومركبات لينتقم من هؤلاء"(٧٢).

ومن ناحية أخرى كان اعتراف "رعمسيس الثاني" بشرعية حكـــم الملك "خاتوسيل" يمثل عاملاً هاماً في تقوية مصداقية الملـــك "خاتوســيل" تجاه الحكام الأجانب الآخرين وكذا أمام حلفائه وأتباعه. ويبدو أن الملـــك "خاتوسيل" كان شديد الدقة تجاه هذا الأمر، إذ كتب إلى الفرعون عـــدة مرات قبل إبرام المعاهدة بينهما مؤكداً على أنه وليس "أورخي تشوب" قـد أصبح ملكاً على خيتا، فأجابه "رعمسيس الثاني" في أحد خطابات بوغـــاز كوي.

".... لقد سمعت بمسألة "أورخي تشوب" التي كتبت لي عنها لقد كتبت إلـيّ قائلاً لقد أصبحت الملك في قصره" (٧٣)

ومن جهة أخرى فإذا كانت محاولات "خاتوســـيل الثـــالث" فـــي الضغط على الفرعون لتسليم اللاجئ "أورخي تشوب" قد باءت بالفشل، فإن المعاهدة قد ضمنت حياد الفرعون تجاه مسألة مساندته للملـــك المخلـــوع لاستعادة عرشه (٧٤).

بل أن المعاهدة قد تضمنت كذلك تشريعاً ينبغي الالتزام به مستقبلاً بين الجانبين فيما يتعلق بتسليم اللاجئين السياسيين إلى كلا البلدين حيـــث ورد في المعاهدة النص الآتي:

"إذا ما فر رجل عظيم من أرض مصر وجاء إلى أرض زعيم خيتا العظيم أو إلى أي مدينة تنتمي لأراضي رعمسيس مرى آمون حاكم مصر العظيم وجاء إلى زعيم خيتا العظيم. فعلى زعيم خيتا العظيم ألا يستقبلهم وسيعمل زعيم خيتا العظيم على إحضارهم إلى وسر ماعت رع ستب إن رع حاكم

مصر العظيم. وإذا ما فر رجل عظيم من أرض خيتا وجاء إلى وسر ماعت رع ستب إن رع حاكم مصر العظيم. أو من إحدى المناطق من أرض خيتا وجاء إلى رعمسيس حاكم مصر العظيم. فعلى وسر ماعت رع ستب أن رع حاكم مصر ألا يستقبلهم وأن يردهم إلى زعيم خيتا العظيم ولا يسمح لهم بالبقاء(٧٥)"

وهكذا استطاعت دولة خيتا أن تحسم الأمر في مسالة أورخي تشوب بل وفي معالجة موضوع اللجوء السياسي مع مصر.

وإذا كان "رعمسيس الثاني" لم يحرز نجاحاً فيما يتعلق باستغلال ورقة "أورخي تشوب" في مجال اللجوء السياسي لمصر، فإن الأحداث التالية ستجعل مصر مضطرة إلى استخدام ورقة اللجوء السياسي مرات أخرى (٧٦).

لجوء الأمير الأدومي "حدد" إلى مصر

دفعت الأحداث السياسية مصر إلى استخدام ورقة اللجوء السياسي خلال عصر الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين، حيث اختلت موازين القوى بمنطقة الشرق الأدنى القديم عقب تداعي الإمبراطورية الحيثية وضعف نفوذ مصر في منطقة سوريا، وتعكس قصة "ون آمون" ما وصل إليه الأمر فيما يتعلق بمكانة ونفوذ مصر في سوريا، تلك المنطقة التي تمثل عمقاً استراتيجياً هاما لمصر، وكان ذلك إيذاناً ببدء ظهور قوى أخرى كان لها دورها على مجريات الأحداث، حيث بدأ نجم مملكة إسرائيل يسطع في فلسطين على حساب الولايات الفلسطينية، كما بدأ التدخل الآشوري في مجريات الأحداث بتلك المنطقة، وإزاء ذلك، كان الموقف المصري الذي بدأ يعمل على تفعيل دوره مرة أخرى فكانت سياسة احتواء اللاجئين السياسيين الفارين من مملكة إسرائيل ومن طغيان الآشوريين فيما بعد.

وخلال عصر الأسرتين الحادية والعشرين والثانيـــة والعشـــرين، ساقت الأقدار لمصر لاجئان سياسيان، قاما بدورهما على الساحة السياسية في مملكة إسرائيل، إذ لجأ الأمير الأدومي "حدد" إلى مصر كلاجئ سياسي يبغي الحماية والأمان عقب اجتياح نبي الله "داود" لمدينـــة آدوم، إذ كـــان النبي داود يهدف إلى تكوين دولة كبرى فـــي فلســـطين(٧٧)، والواقـــع أن فلسطين بلداً لم يكون يشجع على قيام كيانات سياسية كبيرة تاريخياً، ذلـــك أن المراكز السياسية والثقافية كانت في الأناضول وبـــلاد النـــهرين فـــي الشمال وفي مصر الفرعونية في الجنوب أما من الناحية الجغرافيـــة فقـــد كانت فلسطين حلقة الوصل، وعلى هذا كانت دائماً بؤرة للصراع فيما بين القوى الكبرى في المنطقة، أما مملكة "داود" فهي استثناء عن هذه القـــاعدة فهي حالة عرضية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وتاريخ فلسطين(٧٨)، وقد أصبحت إنجازات "داود" ممكنة بسبب الفراغ في ميزان القوى بالمنطقـــة آنذاك(٧٩)، حيث استغل النبي داود ذلك وبدأ في تكوين مملكته فتحرك شرقا وجنوباً وشمالاً على حساب جيرانه الفلسطينيين، واجتـــاح مـــدن عمـــوم ومؤاب وآدوم(٨٠)، كما انتصر على الولايات الآرامية، كما جمـــع شـــمل القبائل الإسرائيلية تحت لوائه(٨١).

وقد جاء بالتوراة بعض الروايات التي تتعلق بحـــرب النبـــي داود لمملكة آدوم ذلك أن النبي داود قد هزم مدينة آدوم في "وادي الملح" وقتـــل ملكها "حداد الثاني" ولكن ابنه الأمير "حدد" هرب إلى مصر(٨٢).

كما تحدثت رواية أخرى عن هذا الأمير الأدومي "حدد" وما كـــان يمثله من خطر ضد النبي سليمان عليه السلام، وكأن ثورته ضـــد النبـــي سليمان كانت بمثابة انتقام من الرب.

"وأثار الرب فاتناالسليمان، "هددالأدومي من نسل ملوك أدوم وذلك أنه لمـــا كان داود في آدوم صعد يؤاب رئيس الجيش، ليدفن القتلى فقتل كل ذكـــر

في آدوم، لأن يؤاب وكل إسرائيل مكثوا هناك ستة أشهر حتى قرضوا كل ذكر في أدوم فهرب هدد هو ورجال من آدوم من عبيد أبيه ذاهبين إلى مصر، وكان حدد صغيرا. فنهض من مدين ووافى فاران وأخذ معه رجالا من فاران وصار إلى مصر. إلى فرعون ملك مصر فأعطاه بيتا وأمر له بطعام وأعطاه أرضا وحظي "هدد" جدا في عيني فرعون فزوجه أخت تخفنيس الملكة. فولدت له أخت تخفنيس "جنوبث" ابنه وفطمته في بيت فرعون، وأقام جنوبث في بيت فرعون وبين بنى فرعون فلما سمع هدد بمصر أن داود قد اصطجع مع أبنائه وأن يؤاب رئيس الجيش قد مات قال هدد لفرعون أطلقني وانصرف إلى أرضي، فقال له فرعون ماذا أعوزك عندي حتى تطلب الانصراف إلى أرضك. قال لا شئ ولكن أطلقني" (٨٣) وهكذا دفعت الأحداث السياسية بأحد أعضاء البيت الحاكم الأدومي وهو الأمير "هدد"، إلى اللجوء لمصر ومنح حق اللجوء من قبل فرعون مصر الذي لم تذكر التوراة اسمه(٨٤)، وفي هذا الصدد فهناك من يرى أن الفترة من نهاية حكم الملك "بسوسينس الأول" حتى منتصف حكم الملك "سيامون" تتطابق مع فترة توحيد النبي داود للعشائر الفلسطينية وتوطينها حول مملكة فلسطين وكذا حروبه مع الفلسطينيين، ومن ثم فإن الأمير هدد يكون قد لجأ إلى مصر خلال هذه الحقبة(٨٥)، وهناك رأيا آخر أكثر تحديدا يشير إلى أن الأمير الأدومي قد وفد إلى مصر حوالي عام ٩٩١-٩٩٠ ق.م أي خلال حكم الملك "أمنمؤبي" (١٠٣٣- ٩٨١ ق.م) ومن ثم فإن هذا الفرعون هو الذي منح الأمير الأدومي حق اللجوء وأحسن إليه وأنزله منزلا كريما(٨٦)، فإذا ما أضفنا إلى ذلك الرأي أن فترة حكم النبي سليمان قد امتدت من (٩٧٠-٩٣٠ ق.م) (٨٧)، وأن الأمير الأدومي قد عاد لوطنه بعد ما علم بنبأ وفاة النبي "داود"، لذلك من الممكن تقبل فكرة أن لجوئه إلى مصر كان إبان حكم الملك أمنمؤبي.

وطبقاً لرواية التوراة فقد تزوج الأمير الأدومي بـــأخت الملكـــة، ولكن ذلك لا يدل بأي حال من الأحوال على أنه قد تـــزوج بـــأميره لأن الأميرة إما أن تكون ابنة أو أخت الملك، كما أن المصريين القدماء كـــانوا قد اعتادوا منذ فترة مبكرة على عدم زواج الأميرات المصريات من حكـــام أجانب، ومن ثم فإن الأمير الأدومي قد تزوج بسيدة ذات مكانـــة بـــالبلاط الملكي وليس بأميرة من دم ملكي، ويقترح "شولمان" أن الملك "ســـيامون" هو الذي زوج الأمير الأدومي بأخت الملكة[٨٨]، وأيا ما كانت الآراء حول تفسير أمر هذا الزواج، فإنه يبدو أمراً عادياً في ضوء التعامل مع اللاجـــئ السياسي من حيث منحه أرضاً ومأوى وطعاماً وكذا عقد زيجة بينه وبيـــن البيت الحاكم في دولة اللجوء، لتدعيم العلاقات بين الجانبين.

وطبقاً لنص التوراة، فقد استأذن الأمير "حدد"، فرعون مصر فـــي أن يسمح له بالعودة لوطنه وهنا يبدو أن الفرعون قد فوجئ مـــن طلـــب الأمير الأدومي مما يدل على عدم رغبة الفرعون في السماح له بـــالعودة لوطنه، ربما لأن الوقت المناسب لذلك لم يكن قد حان بعد، حيـــث يمكـــن استغلال ذلك في إثارة المشاكل ضد النبي سليمان[٨٩].

ووفقاً لما ورد في سفر الملوك الأول بخصوص عـــودة الأمـــير "حدد" لوطنه فقد عاد وصار خصماً لدوداً للنبي سليمان ".... فضلاً عـــن شر حدد وأعنت إسرائيل وملك على آرام"[٩٠].

مما هو جدير بالذكر أن التوراة لم تتطرق إلى الإشارة للصـــراع بين النبي سليمان والأمير الأدومي "حدد" بعد عودة الأخير مـــن مصـــر، ولكن هناك بعض الأدلة الأخرى التي تلقي بالضوء حـــول قصـــة ذلـــك الأمير، إذ ورد في الترجمة السبعينية للتوراة، النص الآتي:

".... آثار الرب أعداءً ضد سليمان، حدد الأدومي وايزون آرام والآن حدد الآدومي وهو من نسل الأسرة المالكة في آدوم والتي أبيدت في المذبحـــة

التي قام بها داود في آدوم، وقد فر حدد مع نفر من رجاله إلى مصر، كان وقتها طفلاً وعندما لجأ إلى مصر منحه الفرعون منزلاً وأمر لـــه بمـــؤن وأصبح ذا مكانة لدى الفرعون حتى أنه زوجه من أخت زوجتـــــه، وقـــد ولدت له تحفنيس ابنا دعى جنويث، وشب جنويث بين أبنـــــاء الفرعـــون وحينما سمع حدد أن داود قد رقد مع آبائه. قال للفرعون أطلق ســـــراحي لكي أعود لوطني فأجابه الفرعون "ماذا ينقصـــك عنـــدي حتـــى تطلـــب الانصراف لوطنك قال لاشيء ولكن أطلقني. ولذلك رجع حـــــدد لوطنـــه وسبب إزعاجاً لإسرائيل فقد صار خصماً وأصبح ملكاً على آدوم"(٩١).

وهناك رواية أخرى تتعلق بالأمير الأدومي، إذ ذكـــر "يوســـفوس فلافيوس" بصدد ذلك أنه "حينما سمع حدد بوفاة داود ويؤاب، ذهب إلـــــى الفرعون وسأله أن يسمح له بالعودة لوطنه، ولكن الفرعـــون لـــم يمنحـــه تصريحاً بالعودة في ذلك الوقت، وعندما بدأت الأمور تسير نحو الأســـــوأ بالنسبة للنبي سليمان، هنا وافق الفرعون على عودته لوطنه، ولكنـــــه لـــم يستطع القيام بثورة ضد النبي سليمان لوجود حاميات عسكرية في وطنـــه، ولذلك ترك بلده إلى سوريا وهناك تعرف على شخص يدعى رزون، الذي كان يقوم بالسلب، وقد انضم إلى هذا الرجل وفرقه من رجاله اللصـــــوص تحت قيادته. وقد دخل وطنه واتخذ مكانه في هذا الجزء من ســـوريا فقـــد اجتاح المملكة الإسرائيلية محطماً وناهباً وكان سليمان ما يزال على قيـــد الحياة، لقد كان مقدراً أن تعاني إسرائيل هذا الشر على أيدي حدد"(٩٢).

وفي إطار تعقيبه على هذه الروايات التي تتعلق بالأمير الأدومـــي "حدد"، يرى شولمان أن الأمر اللافت للنظر أن النص العبري قد أغفل مـــا ذكره النص في كل من الترجمة السبعينية للتوراة وكذا ما ورد في تـــاريخ "يوسفيوس فلافيوس" بصدد نهاية قصة ذلك الأمـــير الأدومـــي إذ توقـــف النص العبري عند طلب "حدد" من الفرعون بأن يسمح له بالعودة لوطنـــه،

والأكثر قبولاً كما يعتقد شولمان أن يكون "حدد" قد تقدم بطلبه هـذا إلـى الفرعون سيامون الذي تزوج النبي سليمان بابنته فهذا الزواج الأسري كان مبرراً لأن يغفل النص العبري بقية تفاصيل قصة ذلك اللاجئ السياسـي وما سببه من إزعاج للملك سليمان ومملكته (٩٣).

وهكذا تلقى هذه القصة بالضوء على إحدى حالات اللجوء السياسي لمصر خلال عصر الأسرة الحادية والعشـرين، ومنـها يتضـح الـدور المصري في احتواء هذا اللاجئ ودعمه ماديا ومعنويا واختيـار الوقـت الملائم لعودته لوطنه بحيث يمكن الاستفادة من عودته بإثارة القلاقل فـي وجه الملكة الإسرائيلية، وذلك من منطلق إعادة تفعيـل دور مصـر فـي فلسطين مرة أخرى.

لجوء "يربعام" خصم النبي سليمان إلى مصر

تخبرنا التوراة بقصة أخرى تتعلق باللجوء السياسي إلى مصر، إذ فر "يربعام" أحد المناوئين للنبي سليمان، إلى مصر ومنح حـق اللجـوء السياسي من قبل الملك "شيشنق" (٩٤٥- ٩٢٤ ق.م) من ملـوك الأسـرة الثانية والعشرون إذ جاء بالتوراة:

"أن أخيا الشيلوني النبي قد أخبر يربعام بأن مملكة سليمان ستنقسم وأنـه سيصبح ملكاً على الأسباط العشرة الشمالية، ولما عرف النبـي سـليمان بالأمر طلب قتله. والتمس سليمان قتل ياربعام فقام يربعام وهـرب إلـى مصر إلى شيشاق ملك مصر ومكث في مصر إلى وفاة سليمان" (٩٤)

وهكذا يؤكد النص السابق على انشقاق يربعام على النبي "سليمان"، وفراره إلى مصر ومنحه حق اللجوء من قبل الملك "شيشنق الأول" الـذي رحب به وتمتع يربعام بحماية الفرعون (٩٥).

ووفقاً للنص العبري فقد ظل يربعام بمصر حتـى وفـاة النبـي "سليمان"، ثم عاد لوطنه عندما تهيأت الظروف الملائمة لعودته، وبمجـرد

عودته، نال تأييد القبائل الشمالية التي نادت به ملكاً[٩٦]، وذلك بعد اجتماع شكيم الذي أسفر عن تقسيم المملكة الإسرائيلية [٩٧].

"وعندما سمع جميع إسرائيل برجوع يربعام، أنفذوا إليه فدعوه إلى الجماعة وأقاموه ملكاً على إسرائيل ولم يبق منهم تابعاً لبيت داود إلا سبط يهوذا وحده" [٩٨].

إن القراءة السياسية لتلك الأحداث لتؤكد على أن الفرعون قد أحسن اختيار توقيت عودة يربعام إلى المملكة الإسرائيلية، حيث أصبحت الأجواء مهيأة لتحقيق أهدافه ضد المملكة العبرية عند وفاة الملك سليمان، ومن جهة أخرى فسرعان ما بدأ انفراط عقد المملكة الإسرائيلية بعد عودة يربعام إذ انقسمت المملكة إلى جزأين اندلع بينهما الصراع وهذا ما كانت ترنو إليه مصر لإضعاف هذه المملكة.

كما أن الفرعون "شيشنق" لم ينتظر طويلاً بعد عودة يربعام لوطنه إذ سرعان ما ظهر "شيشنق" في فلسطين وقام بحملته التي اجتاح فيها المدن الفلسطينية [٩٩].

وهكذا يبدو دور مصر واضحاً في التأثير على مجريات الأحداث بالمملكة العبرية ذلك أن منح حق اللجوء السياسي لكل من "حدد" "ويربعام" كان بمثابة تدخل فعلي في شئون مملكة النبي سليمان، إذ أبقت مصر على هذين اللاجئين كحكام في المنفى الاختياري لهما وكرهائن كانت مصر تطلق لهم العنان بالسماح لعودتهم لبلادهم حينما تسمح الأجواء السياسية بذلك[١٠٠].

وبذلك لم تدع مصر فرصة إلا واستغلتها لضمان سلامة مصالحها الإقليمية والاقتصادية والإستراتيجية في فلسطين، فتارة تستخدم ورقة الزواج السياسي، وتارة أخرى تستخدم ورقة اللجوء السياسي ومرة ثالثة تستخدم أسلوب القوة العسكرية.

لجوء "هنو" حاكم غزة إلى مصر

قادت التطورات السياسية في سوريا وفلسطين، مصر نحو تبني سياسة احتواء الفارين من حكام تلك الولايات، ممن فروا من نير الحكم الآشوري في تلك الجهات، ذلك أن سياسة ملوك آشور قد اتجهت نحو إخضاع الولايات السورية الفلسطينية على الحدود الغربية لدولة آشور، إذ بدأت آشور تستشعر أن سيطرتها على المناطق الواقعة على حدودها الغربية وهي دويلات سوريا وفلسطين، هي الأساس في نجاح إمبراطوريتها وذلك لما تمتاز به هذه المنطقة من الأخشاب النادرة والثروات المعدنية، فضلاً عن السواحل الممتدة على البحر المتوسط وتجارتها الغنية، إلى جانب أنها المدخل إلى جنوب شرق آسيا الصغرى من ناحية ومصر من ناحية أخرى[١٠١] ونظراً لوجود الآشوريين على مسرح الأحداث في تلك المنطقة، كان التدخل المصري لإثارة القلاقل في وجه الآشوريين، من خلال الترحيب باللاجئين السياسيين، فقد فر إلى مصر الأمير "هنو" حاكم غزة وذلك عقب اجتياح الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث (٧٤٤- ٧٢٧ ق.م) لمدن إسرائيل أثر قيام ثورة ضده تزعمها أميري عسقلون وغزة، فقتل حاكم عسقلان وفر "هنو" حاكم غزة إلى مصر، إذ جاء في حوليات الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث ما يلي:

"..... هنو حاكم غزة الذي فر أمام جيشي، ولجأ إلى مصر (وقد اقتحمت) مدينة غزة ....."[١٠٢].

ومما لا شك فيه أن لجوء "هنو" إلى مصر كان سابقاً لعام ٧٢٠ ق.م حيث موقعه رفح التي أسر فيها "هنو"[١٠٣] وذلك خلال حكم الملك "سرجون الثاني" (٧٢٢- ٧٠٥ ق.م)[١٠٤]. وبالتالي فقد ظل هنو في مصر

في الفترة التي أعقبت حملة تجلات بلاسر الثالث على سورية وفلسطين وحتى ٧٢٠ق م. عندما وقعت موقعة رفح.

لقد كان حكام المدن الفلسطينية يسعون لتدعيم مراكزهم وتقوية علاقاتهم بجيرانهم ومنها مصر التي دفعتها مصالحها إلى التدخل لدعم ومساندة هؤلاء الحكام[١٠٥] وهكذا لجأ "هنو" حاكم غزة إلى مصر، حيث قدمت له مصر دعماً عسكرياً تمثل في جيش تحت قيادة سيبي تورتان مصر، إذ جاء في نصوص حوليات الملك الآشوري سرجون الثاني خلال عام حكمه الأول ما يلي:

"... هنو ملك غزة وأيضاً سيبي التورتان لمصر. استقروا في رفح ليحولوا معركة حاسمة ضدي. وقد هزمتهم وهرب سيبي خوفاً عندما سمع الضوضاء (لاقتراب جيشي) ولم يشاهد مرة أخرى (و) قد أسرت هنو شخصياً"[١٠٦]

كما جاء في موضع آخر من حوليات الملك سرجون الثاني:

"... هو (هنو) حاكم غزة أقام (اتفاقا) معه أي الفرعون وأنه استدعى سيبي تورتانة لمساعدته وأنه (أي سيبي) استعد ضدي لقيادة موقعة حاسمة فألحقت بهم الهزيمة وبأمر من وحي الهي سيدى آشور كان سيبي مثل راعي سرق منه قطيعه وهرب بمفرده واختفى (أما) هنو فقد أسرته شخصياً وأحضرته "معي" في القيود إلى مدينتي آشور وحطمت (ربحو) رفح وأخذت منها ٩٠٣٣ أسرى من السكان بممتلكاتهم العديدة"[١٠٧].

ووفقاً للنص الآشوري فقد أسفرت موقعة رفح عام ٧٢٠ ق.م على هزيمة التحالف المؤلف من حاكم غزة ومصر، كما تراجع قائد جند مصر أما حاكم غزة فقد وقع أسيراً في أيدي الملك "سرجون الثاني" كما سقطت رفح في أيدي الآشوريين[١٠٨]

وقد اختلفت الآراء بصدد تحديد اسم ذلك الفرعون وقائد جنده، فهناك من يرى أن قائد الجند هذا كان يعمل تحت إمرة الفرعون "أسركون الرابع"[١٠٩]، أو قد يكون قائداً لجند الملك "تف نخت"[١١٠] أو "شبتكو" نفسه كقائد لجند الملك "بعنخي"[١١١].

وعلى الرغم من إخفاق تلك المحاولة ضد الآشوريين إلا أن دلالتها تظل باقية في التأكيد على الدور الذي قامت به مصر ووقوفها ضد النفوذ الآشوري في سوريا وفلسطين.

لجوء أميني حاكم أشدود إلى مصر

تكشف النصوص الآشورية عن حالة أخرى من حالات اللجوء السياسي إلى مصر إذ ورد في حوليات الملك الآشوري "سرجون الثاني"، النص الآتي

"... أيمنى الذي لم يحترم السلطة مثلهم تماماً وفي الحال قمت بإعداد حملة للاتجاه صوب أشدود* .... ولكن هذا الأيمني عندما سمع بتقدم الحملة العسكرية من بعيد هرب إلى حدود مصر التي تنسب الآن إلى ملوحا* ولم يكتشف مكان اختفائه، وقد حاصرت واقتحمت مدن أشدود ... الملك لإثيوبيا والذي يعيش في قطر بعيد بمنطقة نائية والذي لم يرسل ابائه حتى الآن الرسل ليسألوا عن صحة أبائي الملوك. قد سمع الآن عن قوة آشور وبنو ومردوك وقد تخلى عنه وكبله بالأغلال بقيود حديديه وأحضروه إلى آشور"[١١٢].

كما جاء في موضع آخر من نصوص الملك الآشوري سرجون الثاني:

"أيمني من أشدود، خشي من بأس جيشي، وترك زوجته وأولاده وهرب إلى حدود موصري (مصر) التي تنسب لملوحا وظل هناك مثل لص. وقد نصبت قائداً لي كحاكم على بلاده الواسعة... وقد تخلى عنه

الملك وكبله بالأغلال وأرسله إلى آشور" [١١٣]، وكان الملك سرجون الثاني قد أرسل جيشاً في عام ٧١٢ ق.م لتأديب مدينة أشدود الفلسطينية التي لم يحترم حاكمها سلطة الآشوريين، ولكن "أيمني" حاكم تلك المدينة فر كلاجئ سياسي لمصر التي تنسب أرضها للنوبة[١١٤] وطبقاً للنص الآشوري فقد ظل أيمني كاللص في كوش في بادئ الأمر ثم ألقى القبض عليه وأرسل إلى آشور، كما أن النص لم يذكر اسم الملك النوبي الذي رفض منح أميني حق اللجوء السياسي وفي هذا الصدد يذكر "شبلينجر" أن "إيمني" حاكم أشدود قد هرب إلى حدود مصر كما جاء في النص الآشوري أي أنه ذهب جنوباً إلى مصر العليا حتى النوبة، وقد قابل ملك كوش وهو الملك "شبكو" الذي رفض التعاون معه وسلمه للأشوريين[١١٥]، إذ أذعن شبكو لطلب الآشوريين بخصوص تسليم اللاجئ الفار، حاكم مدينة أشدود "أيمني"[١١٦].

ويبدو أن للأمر وجهاً آخر، إذ عثر في "تانجي-فار" بإيران على نقش صخري للملك "سرجون الثاني"، وقد أشار النص الوارد على هذا الأثر إلى حادثة هروب حاكم أشدود إلى مصر، وهذا النص يؤرخ بعام ٧٠٦ ق.م. وقد جاء بالأسطر من ١٩-٢١ ما يلي:

سطر ١٩ أنا (سرجون) لقد اقتحمت مدينة أشدود وقد خشى ملكها "أميني" من بأسي و... فر إلى حاكم أرض ملوحاً وعاش (هناك) كلص

سطر ٢٠ وقد سمع "شبتكو" ملك ملوحا عن بأس آلهة آشور ونابو ومردوك الذين أظهرتهم فوق كل البلاد.

سطر ٢١ وقد كبل أميني بالأغلال. وجعله يحضر كأسير في حضرتي"[١١٧]

ومن ثم وطبقاً لهذا النص فإن الملك "شبتكو" هو الملك الذي رفض منح حق اللجوء "لإيمنى" كما أنه ألقى بالقبض عليه وسلمه للآشوريين

مكبلاً بالأغلال. ومما يثير الانتباه في حادثة "أيمني" أن هذا الموقف من قبل مصر ورفضها منح اللجوء السياسي لأحد اللاجئين إليها، أمراً لم يكن مألوفاً في مجال تعامل مصر مع قضية اللجوء السياسي، مما يشير إلى أن تغييراً قد طرأ على الموقف المصري تجاه هذه المسألة[١١٨]، وقد يمكن تفسير ذلك كما يرى البعض أنه تغيير في أسلوب الحكم والحاكم، ذلك أنه في عام (٧١٢ ق.م) كانت ثورة "أميني" حاكم مدينة أشدود الذي فر إلى مصر إذ لجأ إلى الملك "شبكو" (٧٢١- ٧٠٧ ق.م) وحصل منه على حق اللجوء السياسي وظل كذلك حتى وفاة "شبكو" عام (٧٠٧ ق.م) وبعد تولية "شبتكو" (٧٠٧- ٦٩٠ ق.م) العرش، غير من سياسة سلفه تجاه آشور، ولذلك سلم "أيمنى" للآشوريين[١١٩].

وعلى الرغم من هذا الموقف من قبل الملك "شبتكو" فإن مصر لم تتخل عن مساندة حكام الولايات الفلسطينية خلال هذه المرحلة، وقد تمثل ذلك في دعمها لموقف "حزقيا" حاكم يهوذا[١٢٠].

وكانت آشور تدرك جيداً دور مصر في فلسطين، لذلك نجد أن رسول الملك "سنحريب" إلى "حزقيا" يتحدث إليه قائلاً عن عدم فاعلية الدور المصري إزاء آشور "... على من اتكلت حتى عصيت عليّ إنك قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضه على مصر التي ما توكأ أحد عليها دخلت في كفه وثقبتها. وهكذا فرعون مصر لجميع المتوكلين"[١٢١].

تلكم هي حالات اللجوء السياسي التي أمكن للباحثة رصدها، والتي تلقي بالضوء على دور مصر في مسألة اللجوء السياسي في الشرق الأدنى القديم.

الخاتمة

١-يتضح من خلال الدراسة، أن مسألة اللجوء السياسي تمثل أسلوباً سياسياً تبنته بعض الدول في مجال علاقاتها الخارجية، واتخذت منه

وسيلة لتحقيق مكاسب سياسية ضد بعض القوى التي تهدد مصالحها بشكل أو بآخر، وكانت مصر ودولة خيتا من أهم الكيانات السياسية التي أخذت بمنهج اللجوء السياسي، إذ أن مصالح كل منهما كانت تدفعهما نحو تبني كافة السبل السياسية لتحقيق أهدافهما، والتي كان منها اللجوء السياسي.

٢- يشير البحث إلى مدى ارتباط مسألة اللجوء السياسي بالأحداث السياسية الجارية داخليا وخارجياً، كما يعكس البحث تأثير هذه المسألة على العلاقات الدولية.

٣- يؤكد البحث على عدم رصد حالات لجوء سياسي من مصر إلى غيرها من الدول، ذلك أن السياسة المصرية الداخلية كانت تتميز بالاستقرار الأمر الذي انعكس على ما كانت تتمتع به مصر من أمن.

٤- يتضح من البحث أن دور مصر في سياسة اللجوء السياسي قد انحصر في دعمها وتأييدها للاجئين السياسيين الذين كانوا يفدون إليها ملتمسين مساندتها إياهم، فكانت مصر ترحب بهم لتحقيق أهداف سياسية تتطلع إليها.

٥- يؤكد البحث على أن السياسة المصرية قد نشطت في أوقات بعينها كانت فيها المصالح المصرية مهددة بأخطار محدقة بها، ولذا التمست مصر سبل متعددة لدعم وتفعيل دورها في منطقة الشرق الأدنى القديم فأخذت بسياسة اللجوء السياسي لتنشيط دورها في فلسطين خلال عصر المملكة العبرية، وأيضاً لإثارة القلاقل في وجه آشور وزعزعة نفوذها في المنطقة.

٦- يوضح البحث أن مصر الآمنة كانت منذ فترة مبكرة من تاريخها الملاذ والمأوى لمن قامت المطاردة ضدهم في بلادهم أو من قاموا

بالثورة ضد السيطرة والقهر أو من كانوا يسعون لصنـــع مســتقبلهم وآمالهم فكل من هؤلاء وجد في مصر داراً للأمن والأمان.

كما تؤكد هذه الدراسة على أهمية منطقة الشرق الأدنى القديم فهي فجر الحضارة في العالم القديم، إذ كانت منبعـــاً لكثـير مـن الظواهـر الحضارية والقيم الفكرية، والمناهج السياسية، فعلى الرغم من حداثة العهد بفكرة اللجوء السياسي في القانون الدولي الحديـث، إلا أن أصـول هـذه الفكرة تبدو واضحة في ذكرى العلاقات الدولية بهذه المنطقة التي مثلـت مركزاً للإشعاع الحضاري والسياسي والثقافي في العالم القديم.

الهوامش

(١) P. Ghalioungi, The Ebers Papyrus, Cairo, 1987, p. 10.

(٢) A. Gardiner & K. Sethe, Egyptian Letters to the Dead, London, 1928, p. 8-9.

(٣) أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ٦، حضـــارة العـــراق القديم، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ٣٢٤.

(٤) محمد سعيد الدقاق: القانون الدولي، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص ٣٢٤ – ٣٢٥.

* لم يكن النفي عقوبة سياسية فقط، ففي مصر الفرعونية كان النفي عقوبـــة ضـــد بعض الجرائم مثل أنيمين الكاذب، وكذلك عقوبة لجريمة السلب والنـــهب، حيـــث النفي إلى ثارو وكوش، وعن ذلك انظر: –

أحمد أمين سليم وسوزان عباس عبد اللطيف: الجريمة والعقاب في الفكر المصـــري القديم، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ١٦٨ – ١٧٣.

(٥) T. Bryce, The Kingdom of Hittites, Oxford, 1999, p. 186 ff.

(٦) W.Helck, "Tusratta", *LÄ*, VI, 1986, p. 811.

(٧) D. Luckenbill, Ancient Records Assyria and Babylonia, vol. I, Chicago, 1927, p. 21.

(٨) C.J. Gadd, "Assyria and Babylon", *CHA*, vol. I, p. 9;
W.H. Saggs, The Greatness that was Babylon, London, 1966, p. 81.

(٩) A. Goteze, "The First Syrian War", *CHA* vol. II, Part 2A, p. 13;
T. Bryce, op.cit, p. 173.

(١٠) N.P. Lemche, "The History of ancient Syria and Palestine" An over view. Civilizations of the Ancient Near East, vol. II, USA, 1995, p. 1206;
J.C. Macqueen, The Hittites and their contemporaries in Asia Minor, London, 1986, p. 46;
A. Goteze, "Suppiluliuma Destroys the Kingdom of Mitani", ANET, p. 318.

(١١) Abdul-Qader, Muhamed, "The Hittite Pravincial Administrat- -ion Conquered Territories", *ASAE*, 59, 1960, p. 112, 117;
W. Helck, "Suppiluliuma", *LÄ* VI, 1986, p. 110 – 111;
L. Wooley, Mesopotamia and the Middle East, London, 1961, p. 29;

W.H. Saggs, op.cit, p. 82

(١٢) S. Fegin, "The Captives in Cuneiform Inscription", *AJSL*, 50, 1933, p. 230 – 232.

* يبدو أن الملك الحيثي شوبيلوليوما كان يرحب باستقبال اللاجئين السياسيين، حيث منح حق اللجوء كذلك لحاكم ميرا بآسيا الصغرى، وعن ذلك انظر: –

W. Garstang & O.R. Gurney, The Geography of Hittite Empire, London, 1955, p. 95.

(١٣) R.S. Hardy, " The Old Hittite Kingdom. A Political History, *AJSLL*, 58, 1941, p. 205 f;

H.G. Guterbock, "The predecessors of Suppiluliuma Again", *JNES*, 29, 1970, p. 73.

(١٤) T. Bryce, op.cit, P. 113 – 115.

(١٥) S. Lloyd, Ancient Turkey, London, 1979, P. 47;

N.K. Sandars, The Sea Peoples, London, 1978, P. 33.

(١٦) K.A. Kitchen, Suppiluliuma and the Amarna Pharaohs, Liverpool, 1962, P. 25;

W.H. Saggs, op.cit, P. 81;

C.J. Gadd, op.cit, P. 9.

(١٧) W. Helck, Tusratta, *LÄ*, IV, 1986, P. 811.

(١٨) J.R. Kupper, "Northern Mesopotamia and Syria", *CAH*, Vol. II, Part I, P. 7 – 8.

(١٩) L.Oppenheim, "Archives of the Palace of Mari", *JNES*, II, 1952, P. 130.

(٢٠) J. Lewy, "Apropos of Recent Study in the old Assyrian chronology", *Orientalia*, 26, 1957, P. 34.

(٢١) G. Dossin, "Une Lettre de Larim-Lim Roi d'Alep a Iašub-Iahad, Roi de Dir", *Syria*, 33, 1956, P. 65.

(٢٢) محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر، الكتاب الثاني، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ١١ – ١٢.

(٢٣) M. Goetze, "Hittite Historical Texts, Suppiluliuma and Egyptian Queen", *ANET*, P. 319;

R.A. Schulman, "Diplomatic Marriage in the Egyptian New Kingdom", *JNES*, 38, 1979, P. 187;

C. Aldered, "The Amarna Period and the End of the Eighteenth Dynasty", *CAH*, Vol. II, Part 2A, P. 69;

B. Lesko, The Remarkable Women of Ancient Egypt, USA, 1978, P. 9;

H.A. Sayce, "What happened after the death of Tut ankh Amun", *JEA*, 12, Part I, 1928, P. 26 f.

(٢٤) M. Goetze, "Hittite Prayers", *ANET*, P. 395;

Idem, The Hurrian War of Suppilumash", CAH, Vol. II, Part I 2A, P. 17.

(٢٥) H. Winckler, "Vorlägutie Nachrichten über die Ausgabungen in Boghaz-Koi im sommer 1907", *MDOG*, 35, 1907, P. 36.

(٢٦) M. Weinfeld, "The Convenient of Grant in the old Testament in the Ancient Near East", *JAOS*, 90, no. 2, 1970, P. 191.

(٢٧) H. Winckler, *op.cit*, P. 36.

(٢٨) S. Fegin, *op.cit*, P. 230 – 231;

Abdul-Qader Muhammed, op.cit, P. 112.

(٢٩) J.M. Munn-Rankim, "Diplomacy in Western Asia in the Early Second Millennium B.C", *Iraq*, 18, Part I, 1956, P. 69.

(٣٠) J.R. Kupper, *op.cit*, P. 7 – 8.

(٣١) G. Dossin, *op.cit*, P. 63.

(٣٢) J.M. Munn-Rankim, *op.cit*, P. 78.

(٣٣) J. Wilson, "The Story of Si-Nuhe", *ANET*, P. 18 ff.

(٣٤) J.H. Breasted, ARE, I, § 474 – 483, P. 228 – 232.

(٣٥) R. Anthes, "The Legal Aspect of the Instructions of Amenemhat", *JNES*, 16, 1957, P. 185 ff.

(٣٦) A. Gardiner, Notes on the Story of Si-nuhe, Paris, 1916, P. 169.

(٣٧) D.B. Redford, Egypt, Canaan and Israel in Ancient Times, Cairo, 1993, P. 83.

(٣٨) A.H. Gardiner, *op.cit*, P. 165, 170;

R.B. Parkison, "Sinuhe", *The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt*, Vol. 3, Oxford, 2001, P. 292.

(٣٩) A. Nibbi, Sinuhe. The Son of the Mashland, Ancient Egypt and some Eastern Nighbours, New Jersy, 1981, P. 175.

(٤٠) W.V. Davies, "Reading of the story of Sinuhe and other Egyptian Texts", *JEA*, 61, 1975, P. 47.

(٤١) M. Green, The Syrian and Lebaneses topographical data in the story of Sinuhe", *CDE*, 58, 1983, fasc, 115-116, P. 50.

(٤٢) H. Goedicke, "Where did Sinuhe story in Asia", *CDE*, 67, 1992, fasc, 133, P. 28 – 32.

* قدم: مصطلح سامي يعني "شرق". أنظر: –

J. Wilson, *op.cit*, P. 19.

ويرى البعض أن قدم هى منطقة تقع شرق سلسلة جبال لبنان

M. Green, *op.cit*, P. 58.

في حين يرى البعض أن قدم تقع بموضع ليس يبعد عن حدود مصـــر الشـــرقية وقريبا من ساحل فلسطين وربما كانت منطقة زاهي

H. Godeicke, *op.cit*, p. 46.

(٤٣) H. Godeicke, "The End of the Hyksos in Egypt", *Egyptological Studies in Hounr of Richard* Parker, London, 1986, P. 46

* رتنو العليا تقع شمال فلسطين.

J. Wilson, *op.cit*, P. 19.

(٤٤) E.W. Heaton, Soloman's New men, *The Emergence of Ancient Israel as a National State*, London, 1974, P. 132.

(٤٥) R.B. Parkison, *op.cit*, 292;

D.B. Redford, *op.cit*, P. 84.

(٤٦) T. Bryce, op.cit, P. 275 – 276;

J.G. Macqueen, The Hittites, London, 1986, P. 91.

(٤٧) K.A. Kitchen, Pharaoh Triumphant, Cairo, 1982, p. 73;

A. Goetze, "The Hittites and Syria 1300 – 1200 B.C", *CAH*, Vol. II, Part 2A, P. 256.

(٤٨) W. Helck, "Urḫi-Tešup in Ägypten", *JCS*, 17, 1963, P. 87;

K.A. Kitchen, *op.cit*, P. 73.

(٤٩) W. Wouters, "Urḫi-Tešup and the Ramses Letters *from* Boghazköy", *JCS*, 41 no. 2, 1989, P. 226;
K.Aa. Kitchen, *op.cit*, P. 73.

(٥٠) T. Bryce, op.cit, P.295 – 296.

(٥١) O. Goelet, "Ramesses – Hattusilis Correspondence", *The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt*, Vol. 3, Oxford. 2001, P. 122.

(٥٢) M.L. Bierbrier, The Late New Kingdom in Egyp, 1300 – 664 B.C, Liverpool, 1975, P. 109.

(٥٣) E. Edel, "Die Abfssungszeit des Briefes KBO I 10 (*Ḫ*attušil–Kadašmann–Enllil) und seine Bedeulung für die Chronology Ramsses II", *JCS*, 12, 1958, P. 131 – 132.

(٥٤) W. Helck, *op.cit*, P. 95 – 96.

(٥٥) D. Luckenbill, "Hittite Treaties and Letters", *AJSL*, Vol. 37, 1920 1921, P. 202.

(٥٦) E. Edel, *op.cit*, P. 133;
M.L. Bierbrier, *op.cit*, P. 109 – 110.

(٥٧) W. Helck, *op.cit*, P. 96.

(٥٨) M.B. Rowton, "Comparative Chronology at the time of Dynasty XIX", *JNES*, 19, 1960, P. 18.

(٥٩) B. Meeissner, "Die Beziehungen Ägyptens zum *Ḫ*uttireiche nach *Ḫ*attischen quellen", *ZDMG*, 72, 1918, P. 43 – 44.

(٦٠) T.Bryce, *op.cit*, P. 308.

(٦١) W. Wouters, *op.cit*, P. 229.

(٦٢) T. Bryce, op.cit, P. 310.

(٦٣) Ibid, P. 310 f.

(٦٤) W. Helck, *op.cit*, P. 87 – 88, P. 95;
K.A. Kitchen, *op.cit*, P. 84;
W. Helck, "Urḫi – Tesup", *LÄ*, VI, 1985, P. 872 – 873.

(٦٥) S. Lloyd, Ancient Turkey, London, 1989, P. 45.

(٦٦) B.M. Rowton, *op.cit*, P. 17.

(٦٧) A. Goetze, *op.cit*, P. 258.

(٦٨) T. Bryce, *op.cit*, P. 295.

(٦٩) A. Spalinger, "Consideration on Hittite treaty between *Egypt* and *Ḫatte*", *SAK*, 9, 1981, P. 357.

(٧٠) A.R. Schulman, "Diplomatic marriage in the Egyptian New Kingdom", *JNES*, 38, 1979, P. 190.

(٧١) A.R. Schulman, "Aspects of Ramesside Diplomacy the treaty 21", *JSSEA*, 8, 1977 – 78, P. 118 – 119.

(٧٢) A. Spalinger, *op.cit*, P. 338 – 339

(٧٣) T. Bryce, *op.cit*, P. 305.

(٧٤) Ibid, P. 305.

(٧٥) S. Langdan, A.H. Gardiner, "The treaty of alliance between *Ḫattušill* of the Hittites and pharaoh *Ramesses* II of Egypt", *JEA*, 6, 1920, P. 193 – 194;
A. Goetze, "Egyptian and Hittite treaties", *ANET*, P. 205.

(٧٦) W.J. Murmane, The Road of Kadesh, Chicago 1985, P. 89.

(٧٧) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، الجزء الثاني، الإسكندرية ١٩٩٩، ص ٦٤٣ – ٦٤٩.

(٧٨) C.W. Ashlstrom, The History of ancient Palestine from the palaeolitic Period to Alexandre's conquest, Sheffied, 1993, P. 487.

(٧٩) K.W. Whitelam, Israelite Kingship. The Royal Ideology and its opponents. The World of Ancient Israel. Edited by R.E. Clements, Cambridg, 1991, P. 119.

(٨٠) P. Johnson, A History of the Jews, London, 1987, P. 55.

(٨١) A. Kuhrt, The Ancient Near East, 3000 300 B.C, Vol. 2, London, 1995, P. 438, 451.

(٨٢) سفر صموئيل ثان: ٨ : ١١.

(٨٣) سفر الملوك الأول: إصحاح ١١، ١٤ – ٢٢.

(٨٤) A. Malamat, "Aspects of the foreign Policies of David and Soloman", *JNES*, 22, 1963, P. 11;
J.R. Harris, The Legacy of Egypt, Oxford, 1971, P. 260;
E.W. Heaton, *op.cit*, P. 178.

(٨٥) N. Grimal, A History of Ancient Egypt, USA, 1994, P. 318.

(٨٦) K.A. Kitchen, The Third intermediate Period, 1100 – 650 B.C, Oxford, 1973, P. 273.

(٨٧) K.A. Kitchen, The World of Ancient Arabia Series Documentation for Ancient Arabia, Part I, Liverpool, 1994, P. 110.

(٨٨) A.R. Schulman, "The Curious of Hadd the Edomite", *Egyptological Studies in Hounr of Richard Parker*, Edited by L.H. Lesko, London, 1986, P. 129.

(٨٩) A.R. Schulman, *op.cit*, P. 130.

(٩٠) سفر الملوك الأول، إصحاح ١١، آية ٢٣ – ٢٦.

(٩١) A.R. Schulman, *op.cit*, P. 131.

(٩٢) Ibid, P. 130.

(٩٣) Ibid, P. 133.

(٩٤) سفر الملوك الثالث، إصحاح ١١، آية ٢٦ – ٤٠؛
قاموس الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٨١، ص ١٠٥٩.

(٩٥) D.B. Redford, *op.cit*, P. 315.

(٩٦) D. Cohen – Sherbok, Atlas of Jewish History, London, 1994, P. 21;
P. Johnson, *op.cit*, P. 64 – 65.

(٩٧) D. Geoffrey, Rehaboams advisers at Shehem and Political Institutions in Israel and Sumer, *JNES*, 25, 1966, P. 275 – 276.

(٩٨) سفر الملوك الثالث، إصحاح ١٢، آية ٢٠ – ٢١.

(٩٩) J.A. Wilson, "The Campaign of Sheshonk I", *ANET*, P. 263.

(١٠٠) A.R. Schulman, *op.cit*, P. 134.

(١٠١) محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، الجزء الثـــاني، مصر، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ٢٥٥.

(١٠٢) D. Luckenbill, Ancient Records Assyria and Babylonia, Vol. I, Chicago, 1927, § 815, P. 292 – 293;
A. Leo-oppenheim, "Babylonia and Assyrian Historical Texts", *ANET*, P. 284 – 285.

(١٠٣) B. Borger, Das Ende des Ägyptischen feld Herrn SIB, E", *JNES*, 19, 1960, P. 49.

(١٠٤) P. Eisele, Babylon, München, 1980, P. 362.

(١٠٥) P. Johnson, op.cit, P. 73.

(١٠٦) A. Leo-oppenheim, op.cit, P. 284 – 285.

(١٠٧) D. Luckenbill, *op.cit*, Vol. II, § 55, P. 26.

(١٠٨) K.A. Kitchen, *op.cit*, P. 375 – 376;
C.J. Gad, Inscribed prisms of Sargon II from Nimurd", *Iraq*, 16, 1954, P. 179 – 180.

(١٠٩) K.A. Kitchen, op.cit, P. 155, 373 no. 374.

(١١٠) D.B. Redford, *op.cit*, P. 346 ff.

(١١١) R.Broger, *op.cit*, P. 53.

* أشدود إحدى الولايات الفلسطينية كان يطلق عليها فـــي النصـــوص المصريـــة القديمة اسم "أسدد". أنظر: –

AEO I, * 263, P. 191.

وتقع أشدود في منتصف المسافة بين غزة ويافا على بعد ١٨ ميلا إلى الشـــمال الشرقي من غزة.

قاموس الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٨١، ص ٧٧.

* ملوحا: أطلق اسم ملوحا في النصوص الآشورية على عدة مواضع منها النوبة. أنظر: –

K.A. Kitchen, The World of Ancient Arabia, Liverpool, 1994, P. 153.

(١١٢) A. Leo-oppenheim, *op.cit*, P. 286.

(١١٣) D. Luckenbill, *op.cit*, § 79 – 80, P. 40 – 41;

A. Leo-oppenheim, *op.cit*, P. 285.

(١١٤) K.A. Kitchen, The Third Intermediate Period, Oxford, 1973, P. 380.

(١١٥) A. Spalinger, "The Year 712 B.C. and it's Implications from Egyptian History", *JARCE*, 10, 1973, P. 97.

(١١٦) K.A. Kitchen, *op.cit*, P. 155.

(١١٧) D. Kahn, "The Inscription of Sargon II at Tangi-Var and the chronology of Dynasty 25", *Orientalia*, 70, 2001, P. 1 – 2.

(١١٨) A. Spalinger, *op.cit*, P. 97.

(١١٩) D. Kahn, *op.cit*, P. 13.

(١٢٠) A. Kuhrt, *op.cit*, P. 499.

(١٢١) سفر أشعيا، الإصحاح السادس والثلاثون، آية ٤ – ٥.